فتصدها الاهرام فلذلك تراها لا تزال متأهبة للوثوب في كل آن مترقبةً فرصةً للهجوم وهيهات ان يقع ذلك منها في الامكان

الحرب

الحرب مناجزة المتخاصمين بالسلاح طمعاً في جرّ مغنم او دفعاً لمغرم فهي هجوم ودفاع وسطوة وامتناع فُطر عليها الانسان لما في طبعهِ من الاثرة والعدوان ونزعت اليها القبائل والممالك في كل زمان ومكان على ما يصحبها من نهب الاعمار وهدر الدماء واستباحة الذمار وجوائح البلاء وما تجرُّ ورآءها من البوار والدمار وتخريب الديار والجوع والوباء وجميع ضروب الشقاء فهي اعظم الخطوب الملمّة بالسلائل البشرية واشد المصائب على الحالة المدنية بل هي اكبر جنايةٍ اقترفها الانسان ضدّ نفسهِ وتعمدها لهلاك ابناء جنسهِ على ان قوماً لا يرون فيها الا العدالة يصان بها الذمار والعزّة تُحمى بها الممالك والامصار والأَنفة من احتمال مذلة الضيم والعار والقوة التي يمتنع بها الجار على الجار وقد كُتبت على الناس مكرهين وربما جُبلت فرضاً من فروض الدين ولم تزل الامم تعظم شأن الابطال وتقيم الانصاب للذين غلبوا في ساحة القتال تخليدًا لذكرهم واجلالاً لقدرهم قال ابو الطيب

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذَى حتى يراق على جوانبهِ الدمُ

وقال

أعلى الممالك ما يُبنى على الاسل والطعن عند محبيهنَّ كالقُبَلِ
وما تقرُّ سيوفٌ في ممالكها حتى تُقلقَل دهرًا قبلُ في القُلَلِ

ولا مرآء في ان الانسان نشأ على محبة الخصام والرغبة في الانتقام اذ لم يكن لمطامعهِ رادع ولا لشهواتهِ وازع بدليل ما حدث في القدم من مقتل احد الاخوين ولم تكن ارض الله ضيقة على اثنين . ونرى في الآثار البشرية الباقية منذ الازمنة العريقة في القدم قبل عهد التاريخ ظرّانًا استعملها الاولون سلاحًا للصيد والحرب قبل ان عرفوا المعادن واستنبطوا الشَبَه والحديد وكانوا في عهد همجيتهم يصطادون بعضهم كما كانوا يصطادون البهائم ويقرَمون الى اكل اللحم البشري كما تفعل بعض القبائل الوحشية لهذا العهد فكان شأنهم في اثارة الحرب شأن الضواري يفترس القويُّ الضعيف ثم استنبطوا السلاح من المعادن فاستعملوا القسيّ والرماح والسيوف والدروع والخوَذ وغيرها وقد ضربوا في اكناف الارض ينتجعون موارد الكلإ لسوائمهم ويحيون مواتها بالحرث والغرس لماشهم فصارت الحرب غيرةً ومنافسةً كما بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة وفي هذه الحالة صار الانتفاع بالاسرى وسيلةً لاستحيآئهم حيث كانوا يسترقُّونهم لحرث الارض ورعاية المواشي . ثم صارت عدوانًا وغزوًا كما بين الامم الوحشية الذين يجعلون ارزاقهم في رماحهم ومعاشهم مما بايدي غيرهم ومن دافعهم عن متاعهِ آذنوهُ الحرب . ولما قويت اسباب الحضارة واتسع للعمران ولي الاحكام ملوكٌ توسلوا بالسلطة الدينية الى ما طمحت اليهِ نفوسهم من الاستبداد فجمعوا الجيوش الجرارة يزحفون بها بعضهم على بعض وبالغوا في احكام المعاقل والحصون والاكثار من العُدَد وآلات الهجوم والدفاع وما زالوا على ذلك من قديم الزمان ينكّلون بعضهم ببعض ويريقون الدمآء ظلمًا وبغيًا حتى اندرست معالم العمران وتقوّض بنآء المدنية بتباب السكان

ومن نظر الى ما حدث في الحروب الدينية من الفظائع والموبقات وما

افضت اليهِ من خراب الممالك وارتكاب المنكرات تبيّن ثم الاسباب التي حملت انصار المدنية من ساسة الممالك على انكارها والقيام ضدها فلم يبقَ لها ذكر الاّ في مخيلة بعض الاغرار ممن طمس الجهل على عقولهم والفضل في ذلك لفئة من رجال الدين قامت بتدبير بعض ممالك اوربا على اثر الحروب الدينية بين البابويين والبروتستنت وقد تنبهت هذه الممالك من سنة الغفلة وشعرت بما كان يمزّقها من الدسائس الداخلية فعهدت بتدبير شؤونها الى رجال ذوي حنكة وحزم اجمعوا على تقرير السلام بين الدول الاوربية فسُلخت الصفات السياسية عن الجيوش وقوادها وتقيّدت كل مملكة منها بنظام تُعرَف منهُ حقوق الحكام والمحكومين واستقلّت وزارة الحرب وسُنّت القوانين التي تُعرَف بها حقوق الدول فيما بينها وجرت المعاهدات على حفظ السلام العام . على ان الحروب لم تبطل ولكنها تحولت من الحالة الدينية الى الحالة المدنية على ما هو جارٍ الآن بين الدول

ولا ينكر ان سياسة هذا العصر جارية على المكر والدهاء لا على القوة والبطش وغايتها حفظ الموازنة بين الدول الاوربية الكبيرة والمحافظة على ما لكل دولة من الحقوق والاملاك ومبدأها حفظ السلام تذرُّعاً الى نماء العمران وانتشار الامان واتساع نطاق التجارة في كل مكان . على ان كلّ دولة تناظر الاخرى وتكاثرها فيما لديها وتوجس منها خيفة الغدر والفتك وتحذر من ضعفها بازاء قوة جارتها وتتحيّن فرصةً لتتقوّى اما بالاستعمار او باختراع آلات الهلاك او بالمال او بمحالفة غيرها مما تشدُّ بهِ ازرها او بغير ذلك وكل دولة واقفة للاخرى بالمرصاد تراقب كل اعمالها الداخلية والخارجية ما استطاعت الى ذلك سبيلاً . واذا كانت الامة راتعةً في بحبوحة الرفاهية سابقة القدم في حلبة المدنية

راقيةً في معارج النجاح وكانت هي المتصرفة في تدبير شؤونها لا يصدر ساستها الا عن رأيها فما ابعدها ميلاً عن الحروب وما اقربها الى حفظ السلام ولذلك لا يخشى وقوع حرب بين الدول الاوربية اذا لم تختلّ الموازنة بينها

وقد تقرر عندهم اليوم ان الموازنة بين الدول الاوربية لا تثبت اركانها ولا يقوم بنيانها الا بالمحافظة على السلم مع الدولة العثمانية ولذلك حين هبّت الدولة اليونانية لمناشبتها الحرب في هذه الايام رأينا الدول الاوربية ولا سيما الروسية ممالئة للدولة العثمانية ضد اليونان على حين كانوا يستغيثون بها فلم تحفل بهم ولم تحركها العوامل الدينية الى قطع العلائق المدنية فثبت ان لفظة الحرب الدينية قد الغيت من مُعجَم السياسة

على ان ثمت حرباً اشدّ نكالاً بالشرقيين من الحروب الدينية وغيرها وهي الحرب التي يشنُّها علينا الاوربيون واساطيلهم لا تخر البحار وقنابلهم لا تقذف النار وجيوشهم لا تثير الغبار اعني بها الحرب الادبية التي ينازعوننا بها مصادر الحياة فانهم بحجة المعاهدات التجارية قد جاسوا خلال الديار فدنّا لهم صاغرين ثم تبوّأوا منصة السيادة فاقبلنا عليهم مستعبَدين وانى يُتاح لنا ان نناظرهم وهم السابقون في حلبة الابداع والاختراع الدائبون على توفية العلم حقهُ من التدقيق والتحقيق القائلون القول يصدّقهُ الفعل لا يدالسون فيهِ ولا يؤالسون الفاعلون بما تقتضيهِ الحرية لا يخافون ولا يتكتمون ونحن بالترهات لاهون وعن الحقائق متشاغلون

واذ قد فصل السيف الآن بين الدولتين وحسم ما كان يُخشَى ان تجرَّهُ هذه الحرب من العواقب الهائلة ساغ لنا ان نعقد الامل بعود السلم الى مجراهُ ودلنا ما آنسناهُ من صنيع الدول في هذه النازلة وتصرفهم في سياستها

ان الحرب قد اصبحت في هذا العصر من ابعد الامور حدوثاً فلا يُخشى ان تقف في طريق نجاح الامم وتقدمهم في سبل الحضارة والعمران وان ما تنشئهُ يد العلم والتمدن اليوم لا تسطو عليهِ يد الجهل والخشونة غدًا فتردُّهُ اثرًا بعد عين وهذا لا شك من افضل ثمرات المدنية في هذا العصر وان راى بعض الناس خلافًا في الامر بما تصوّرهُ لهم اهواؤهم . ومن تمثل حالة البلاد التي كانت معتركًا لهذين الجيشين وما آلت اليهِ من الخراب والدمار وما سُفك فيها من الدماء الزكية المملوءة حياةً وشبابًا وذوى بجانبها من الآمال التي كانت تبسم بهجةً واستبشارًا وما طرأ بسبب ذلك من اقفار المنازل وخلوّ المدن الاواهل وهلاك الزرع والضرع وتعطّل التجارات والصناعات وما نزل بالقوم من دواهي الثكل وتشتت شمل الاحباء والاهل وانغماس العيال في الفاقة المدقعة والشدائد المتنوعة الى غير ذلك من ضروب البلاء والوان الشقاء كفاهُ ذلك عبرةً تقشعرّ لها الابدان واستعاذ بالله من شرّ الانسان وما احسن ما قالهُ علامة العصر المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي طيّب الله ثراه وجعل الجنة مأواه

ولقد رأيت الأُسد احسن خلةً من جنس هذا الناطق المتمرّدِ
الناس تقتل كل يومٍ بعضها والأُسد تقتل غيرها اذ تعتدي

لغز

لأحد الادباء

ما اسمٌ خماسيّ البنا هُوَ واحدٌ ان شئتَ او جمعٌ بغير نكيرِ
واذا عمدتَ لجمعهِ نافى الذي جمعوا كما قد شذّ في التصغيرِ